تفسير إبن كثير

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

وقوله : (فتعالى االله الملك الحق) أي : تقدس أن يخلق شيئا عبثا ، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ، (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ، فذكر العرش; لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم ، أي : حسن المنظر بهي الشكل ، كما قال تعالى : (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) [لقمان : 10] .قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان شيخ من أهل العراق أنبأنا شعيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطب عمر بن عبد العزيز أن حمد االله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معادا ينزل االله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة االله ، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر هذا اليوم وخافه ، وباع نافدا بباق ، وقليلا بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم الباقين ، حتى تردون إلى

خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى االله عز وجل ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير ممهد ولا موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله ، غني عما ترك ، فقير إلى ما قدم . فاتقوا االله عباد االله قبل انقضاء مواثيقه ، ونزول الموت بكم ثم جعل طرف ردائه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن نصر الخولاني ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي هبيرة عن حنش بن عبد االله; أن رجلا مصابا مر به عبد االله بن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى االله الملك الحق) ، حتى ختم السورة فبرأ ، [فذكر ذلك لرسول االله صلى االله عليه وسلم] ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " بماذا قرأت في أذنه؟ " فأخبره ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده ، لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال " .وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبيه قال : بعثنا رسول االله صلى االله عليه وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا

وأصبحنا : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) ، قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا .وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو المسيب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر بن خنيس ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن عبد االله بن عباس قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن : بسم االله الملك الحق ، (وما قدروا االله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) [الزمر : 67] ، (بسم االله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) [هود : 41] .